

الطب الوقائي النبوي في الصحيحين: دراسة تحليلية

الدكتور كبير غوجي

Dr. Kabiru Goje

كلية دراسات القرآن والسنة | جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

Faculty of Quranic and Sunnah Studies

University Sains Islam Malaysia (USIM)

Email: kabiru@usim.edu.my or garbangoje@gmail.com

ملخص البحث

إن هذا البحث يدور حول دراسة الأحاديث التي تتعلق بالطب الوقائي في الصحيحين، وعن كشف معالمها واضحة من الحقائق العلمية، وبناء على ذلك، فقد قام الباحث بتعريف الطب الوقائي، ثم استخراج الأحاديث المعينة من الصحيحين، ثم ترتيبها على الأبواب الطبية حسب دلالتها. ثم قام بدراسة مسائل مستنبطة من تلك الأحاديث على ضوء الطب الوقائي، حيث يعقب كل حديث بالمسائل الطبية الوقائية المناسبة له، مع تأييدها بأقوال الأطباء المعاصرين وما يمكن أن يلحق بذلك مما يشهد له الواقع أو أثبتته التجربة العلمية مع مراعاة عدم مخالفة الشريعة. وقد توصل الباحث إلى نتائج مهمة منها أن النبي - - اهتم بكل جانب من جوانب الحياة البشرية منها الجانب الصحي، حيث ورد عنه الأحاديث التي فيها إشارات طبية لطيفة، والتي لو أخذ بها الناس لكان لها الأثر الكبير في الوقاية من كثير من الأمراض، والشفاء من أمراض أخرى، وهذه المعلومات الطبية الوقائية التي صدرت عن النبي - - قد أكدها الطب الحديث، وهذا يدل دلالة واضحة على صدق نبوة النبي الأمي محمد بن عبد الله - -، وأخيراً، يوصي الباحث الأطباء المسلمين بضرورة معرفة الطب النبوي، لأن هناك كثيراً من الأمراض والأدوية التي بينها النبي - - والتي لم تكتشف إلى الآن في الطب الحديث المعاصر.

أهداف البحث:

1. جمع أحاديث الطب الوقائي وتخريجها من الصحيحين، ثم ترتيبها على الأبواب الطبية حسب دلالتها.
2. النظر في متون هذه الأحاديث، ودراستها دراسة معمقة من ناحية طبية، ثم استخراج المعالم الطبية الوقائية منها، مع ذكر أقوال الأطباء المعاصرين التي توافق تلك الفوائد.
3. النظر في الحقائق الطبية المكتشفة المتعلقة بهذه الأحاديث التي تُعد من المعجزات العلمية التي تشهد لمحمد - - بصدق رسالته، قال تعالى: (لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه.)

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

فإن أعظم نعمة أنعم الله تعالى بها على البشرية هي نعمة الإسلام، أنعم بها علينا فأعزنا بعد ذلّ وحول أمتنا من رعاة الغنم إلى ساسة الأمة، وهدانا إلى الصراط المستقيم الذي ليس به التباس، وجعلنا خير أمة أخرجت للناس. ومن نعمه - سبحانه وتعالى - على هذه الأمة أنه أرسل إليها سيد ولد آدم وأول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم-. وقد جاء هذا النبي المصطفى - صلى الله عليه وسلم- بالوحي الإلهي إلينا، وبين لنا كل ما نحتاج إليه من أمور الدين والدنيا. ومن هذا الوحي الإلهي الذي جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم- التي اشتملت على أقواله وأفعاله وتقاريراته، والسنة - كما هو معروف عند العلماء - أنها وحي من الله كما

كان القرآن، كما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾. [الحاقة: 44-47]

وقوله: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾. [النجم: 3-4]

وقول النبي - صلى الله عليه وسلم - ﴿أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ...﴾⁽¹⁾

ومن أجل ذلك يجب على المسلم طاعة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في كل ما يأمر به، وينهى عنه، إذ لا فرق بين طاعة الله عز وجل وطاعة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فهما أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، كما يجب عليه أيضا تصديقه - صلى الله عليه وسلم - في كل ما يخبر به سواء من أمور غيبية أو غيرها، لاستحالة أن يأتي بها من تلقاء نفسه من غير وحي من الله عز وجل. ومن ذلك ما جاء في أحاديث كثيرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من معلومات تتعلق بالناحية الطبية للإنسان، وإننا نجد في هذه الأحاديث النبوية الشريفة من الإرشادات والنصائح والتوجيهات النبوية لو عمل بها الإنسان لتجنب الإصابة بالعديد من الأمراض ولشفي من أمراض أخرى، ولقد جرت هذه النصائح والإرشادات الكثير من الناس وانتفعوا بها، وكيف لا ينتفعون بها وهي صادرة من الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام الذي يقول الله عز وجل فيه ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾. [النجم: 3-4].

وقد تناولت هذه الأحاديث العديد من أبواب الطب الوقائي وفروعه، ومن أمثلة ذلك:

أولاً: أوامره - - للصحة والنظافة الشخصية كنظافة البدن والأيدي والأسنان والأظافر.

ثانياً: أوامره - - لصحة البيئة الإسلامية ونظافتها كنظافة الشوارع والبيوت والمدن وغير ذلك.

ثالثاً: تحريمه للأغذية الضارة بالصحة كالميتة والخمر وغير ذلك.

وقد كتب كثير من العلماء المتقدمين والباحثين المعاصرين في الطب النبوي أو في الطب الإسلامي، ولكني أردت في هذا البحث أن أجمع الأحاديث المتعلقة بالناحية الطبية الوقائية في الصحيحين، ثم أقوم باستخراج المعالم الطبية الوقائية منها، كما سأعرج إلى الدراسات الطبية المتخصصة والكتابات العلمية التي تعرضت للطب الوقائي في الدراسات الحديثة خصوصاً، والإسلامية عموماً ليجمع فيها الصحة من الناحية النقلية والقوة من الناحية العلمية.

وانطلاقاً من هذه النظرة وقع اختياري على هذا الموضوع بعنوان: " الطب الوقائي النبوي في الصحيحين: دراسة تحليلية"، فأسأل الله العون والسداد في أمري كله إنه هو الرحمن الرحيم. و صلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأزواجه وأصحابه.

المبحث الأول

تعريف الطب الوقائي

أولاً: تعريف الطب الوقائي في اللغة:

الطب: الطاء والباء أصلان صحيحان، أحدهما يدل على علم بالشيء ومهارة فيه. والآخر على امتداد في الشيء واستطالة، فالأول الطب، وهو العلم بالشيء. يقال رجل طَبٌّ وطبيب، أي عالم حاذق أو العالم بالطب، وجمع القلة أطبّة والكثرة أطباء، والطَّبُّ بضم الطاء وفتحها لغتان في الطب وكل حاذق عند العرب طبيب.⁽²⁾ ثم اصطلاح بكل علم يعرف به حفظ الصحة وبرء المرض.⁽¹⁾

⁽¹⁾ أخرجه أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، بتحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، (1420 هـ - 1999 م)، ج 28 ص 410 رقم: 17174 والفظ له، وأخرجه أيضاً أبو داود، سنن أبو داود، بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، ج 4 ص 328 رقم: 4606 كلاهما من طرق عن حريز بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي عوف عن المقداد بن معد يكرب به، وصححه الألباني كما في صحيح الجامع: رقم 2643.

⁽²⁾ أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، مقاييس اللغة، بتحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية، اتحاد الكتاب العرب (1423 هـ 2002 م) ج 3 ص 317. وانظر أيضاً: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، بتحقيق محمود خاطر، طبعة جديدة، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون (1415 هـ، 1995 م) ص 403.

الوقائي: وقى بقي وقايةً، والوقاية حفظ الشيء عما يؤذيه ويضره والتوقي جعل الشيء وقاية مما يخاف، وفي الحديث: "من عصى الله لم تقه منه وقاية إلا بإحداث توبة". يقال: وقاك الله شرّ فلان وقاية، ومنه قوله تعالى: " ما لهم من الله من واق " أي من دافع. ويقال: فرس واق إذا حفي من غلظ الأرض ورقة الحافر، فوقى حافره الموضع الغليظ، وقال ابن أحرر: تمشي بأوظقة شدادٍ أسرها. . . شُم السنايك لا تقي بالجدجد.

أي لا تشتكي حزنونة الأرض لصلابة حوافرها⁽²⁾

ثانياً: تعريف الطب الوقائي في الاصطلاح:

ويعرف الطب الوقائي في العصر الحديث بأنه: المحافظة على الفرد والمجتمع في حالة صحية، وذلك باتباع تعاليم وإجراءات لوقاية الإنسان من الأمراض السارية والوافدة والوراثية قبل وقوعها، ومنع انتشار العدوى لدى وقوع المرض، وتحسين ظروف الحياة، ومنع الحوادث والأمراض النفسية، أي: العناية بالسليم وحمايته من الأمراض⁽³⁾.

ولذلك نستطيع أن نقول في تعريف الطب الوقائي بعبارة أدق بأنه: علم يتعلق بمحافظته الفرد والمجتمع في أحسن حالاته الصحية، وذلك عن طريقين:

الأولى: وقايته من الأمراض قبل وقوعها، ومنع انتشار العدوى إذا وقعت.

الثانية: صيانة صحته بتحسين ظروف معيشته ومنع الحوادث وأسباب التوتر العصبي.

المبحث الثاني

عناية الإسلام بالطب الوقائي

من مظاهر عظمة الدين الإسلامي الحنيف عنايته الفائقة بالطب الوقائي الذي أرسى قواعده من تعاليم القرآن الكريم وإرشادات السنة النبوية الشريفة المطهرة التي ما هي إلا وحي يوحى. لذا جاء الطب الوقائي في الإسلام متميزاً بقيمه الأخلاقية السامية ومبادئه الروحية العظيمة وممارعاته لصحة الإنسان الجسدية والنفسية والعقلية والجنسية والروحية، لذا فإنه جدير بأن يوصف بأنه طب وقائي شمولي، -أي أن الطب الوقائي في الإسلام يرتبط بالمفاهيم الإسلامية العامة وبمقاصد الشريعة الغراء - بل إن من عناية الإسلام بصحة الإنسان ووقايته أنه أمر بطرق وقائية عديدة تبدأ حتى قبل الولادة، حيث أوصى باختيار الزوج الصالح والزوجة الصالحة من أسرة خلت من العيوب وسلمت من الأمراض كما جاء في حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «تخيروا لنطفكم، وانكحوا الأكفاء، وأنكحوا إليهم»⁽⁴⁾.

وقوله: "تخيروا لنطفكم" أي اطلبوا لها ما هو خير المناكح وأزكاها وأبعدها من الخبث والعيوب والأمراض والفجور، وذلك حتى يشب المولود قوياً وفي أسرة مترابطة قوامها الإيمان والمحبة، وسد الإسلام كل باب يؤدي إلى انحراف في صحة المسلم أو ضعف في عافيته. ولذلك يعد الطب الوقائي من أهم دعائم الطب في الإسلام، لأن العناية بحماية الصحة والمحافظة عليها ووقايتها من الأمراض من مفاهيم

(1) محمد عبد الرؤوف المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، بتحقيق د. محمد رضوان الداية، الطبعة الأولى، بيروت، دار الفكر ، (1410 هـ) ، ص 478.

(2) ابن فارس، المصدر السابق ج 3 ص 295 إلى 296، و المناوي، المصدر السابق ص 730.

(3) صالح عبد القوي السنبراني، **الإعجاز العلمي في الطب الوقائي**، الطباعة والصف والإخراج إدريس عبد القوي، طبعة تجريبية الجمهورية اليمنية، جامعة الإيمان، (1425 هـ 2004 م) ، ص 19.

(4) أخرجه ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبد الله ابن ماجه القزويني ، ، سنن ابن ماجه ، بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، بيروت دار الفكر، ج 1 ص 633 رقم: 1968، وقال البوصيري في المصباح الزجاجة، ج 1 ص 304، رقم: 702: "هذا إسناد فيه الحارث بن عمران المدني قال فيه أبو حاتم، ليس بالقوي والحديث الذي رواه لا أصل له يعني هذا الحديث، وقال ابن عدي: والضعف على رواياته بئس؛ وقال الدارقطني: متروك"، ثم ذكر له المتابعات والشواهد. وقد حسنه الألباني لشواهد كما في الصحيحة رقم 1067.

الإسلامية الأصلية، وقد ظهر مفهوم حفظ الصحة منذ فجر الإسلام، فالوقاية من المرض تحقق مصلحة البدن والعقل، والصحة تعين على العمل والكسب والتناسل، فهي بذلك تحفظ مصلحة النسل والمال، وهكذا فإن حفظ صحة الفرد يحقق له المصالح الخمس التي طلب الشرع رعايتها، وهي الدين والنفس والعقل والنسل والمال، ويظهر لنا ذلك جلياً إذا نظرنا دور الصحة في حفظ الدين، وتبدو أهمية الصحة واضحة في حفظ الدين في أداء الصلوات والصيام والجهاد في سبيل الله. فإن بإمكانية المسلم المتمتع بصحة جيدة أن يؤدي صلواته على أكمل وجه وأتم حضور، لا يقطعه ألم ولا إعياء ولا غيرهما من العوارض المرضية، ولا سيما إن سلم من الهموم والشواغل النفسية، وكذلك فإن الصحيح يستطيع أن ينعم بخيرات مدرسة الصيام، وأن يظفر بثواب مناسك الحج، وأن يلقي من انشراح الصدر وطمأنينة النفس ما يفوق بكثير ما يكون عليه معظم المرضى.

أما في الجهاد فإن ضرورة الصحة تبدو واضحة جداً في الإعداد له وفي واقع ميادينه، يستطيع المسلم المريض أو ذو العاهة أن يصلي قاعداً أو مضطجعا كما يستطيع أن يؤجل الصوم إلى وقت الصحة فيقضيه أو يدفع فدية، حسب حالته الصحية والحكم الشرعي المتعلق بذلك، ولكنه لا يستطيع ممارسة التدريب والإعداد فضلاً عن ممارسة الكفاح والجهاد، ولما كان الدين لا يمكن تحقيقه ولا حفظه إلا بالصحة كما سبق، لذا اهتم الإسلام منذ ظهوره بالطب الوقائي، وهكذا كان الأمر في باقي ضروريات الخمس، وحفظ النفس والعقل لا يتم إلا بحفظ الصحة، ولذلك أمر الله سبحانه وتعالى باتخاذ أسباب الوقاية لدرء خطورة الأمراض عن النفس والعقل، وقال: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [سورة البقرة: 195].

قال البغوي -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: أي لا تلقوا أنفسكم بأيديكم إلى التهلكة أي الهلاك، وقيل: التهلكة كل شيء يصير عاقبته إلى الهلاك⁽¹⁾، ومما لا شك فيه أن تهاون بالصحة وعدم اتخاذ أسباب لوقايتها من الأمراض يعتبر أنه إلقائها إلى التهلكة.

وقال تعالى أيضاً ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [سورة النساء: 29]

قال السعدي -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: أي لا يقتل بعضكم بعضاً، ولا يقتل الإنسان نفسه، ويدخل في ذلك الإلقاء بالنفس إلى التهلكة، وفعل الأخطار المفضية إلى التلف والهلاك، ومن رحمته أن صان نفوسكم وأموالكم، ونهاكم عن إضاعتها وإتلافها، ورتب على ذلك ما رتبته من الحدود⁽²⁾.

وهكذا عني الدين الإسلام الحنيف بصحة الأنفس والأبدان كما عني بصحة العقائد والأديان، إذ أنه بقوة الأجسام وسلامة العقول والعقائد يكون المسلم صالحاً للاستخلاف في الأرض وعمارتها، والقيام بفرائض الله وشرائعه، وكما أن الإسلام عني بصحة الأنفس والأبدان، كذلك عني بصحة البيئة والمجتمع اللذين يعيش فيهما الإنسان، لأن الإسلام لا يفصل بين الصحة النفسية والبدنية وبين الصحة الاجتماعية، ولذا أمر بنظافة الشوارع والطرق وإزالة ما يؤذي الناس عنهما، كما دعا أيضاً إلى الوقاية من الأمراض الانتقالية بعزل المريض عن الأصحاء كما يدل على ذلك حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يُورَدَنَّ مُمْرَضٌ عَلَى مُصِحٍّ»⁽³⁾.

ومن اهتمام الإسلام بحماية البيئة أمر الفرد بالابتعاد عن موطن الوباء، ومنع من كان في أرض الذي وقع منه الوباء أن يخرج فرار منه، وجعل ثواب عظيم لمن صبر وأقام في بلده الذي وقع فيه الوباء ولم يخرج منه، كما يدل على ذلك حديث أسامة وعائشة رضي الله عنهما: عن أسامة بن زيد -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ: «الطاعون رجس أرسل على طائفة من بني إسرائيل أو على من كان قبلكم،

(1) أبو محمد الحسين بن مسعود محي السنة البغوي، معالم التنزيل، بتحقيق محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان الحرش، الطبعة الرابعة، دار طيبة للنشر والتوزيع، (1417 هـ - 1997 م)، ج 1 ص 215.

(2) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، بتحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، (1420 هـ - 2000 م)، ص 175.

(3) أخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري الجعفي مولاه، صحيح البخاري، بتحقيق د. مصطفى ديب البغا، الطبعة الثالثة، بيروت، دار ابن كثير اليمامة، (1407 هـ - 1987 م)، ج 5 ص 2177 رقم: 5437.

فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه»⁽¹⁾
وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: «سألت رسول الله -- عن الطاعون فأخبرني: أنه عذاب يبعثه الله على من يشاء وأن الله جعله رحمة للمؤمنين ليس من أحد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابراً محتسباً يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان مثل أجر شهيد»⁽²⁾، وكل ذلك من أجل وقاية البيئة من الأمراض ومنع انتشار الوباء في المجتمع البشري.

المبحث الثالث

التدابير الوقائية في جانب الطعام والشراب

أولاً: التدابير الوقائية في النهي عن الأنواع الغذائية الخبيثة

- 1 - عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما - أنه سمع رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول عام الفتح وهو بمكة : «إن الله ورسوله حرم بيع الخمر»³
- 2 - عن ابن عمر -رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله -صلى الله عليه و سلم -« كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها لم يتب لم يشربها في الآخرة »⁴

معالم الطب الوقائي في هذه الأحاديث:

حرّم الإسلام الخمر وشدد في تحريمها، نظراً لما يؤديه شربه من أضرارٍ بالعقل والجسم، ولقد سميت الخمر بهذا الاسم لأنها تخامر العقل، أي تغطيه، وتحجبه، وتلغى دوره ولو مؤقتاً، فشارب الخمر المسلوب عقله، يأتي بكل ما يناقض العقل السليم من مذهبة للعقل ومتلفة للمال، ومن صده عن ذكر الله وعن الصلاة ومن إيقاع العداوة والبغضاء بين الإخوة والأصدقاء وعامة الناس، ومن الأمراض والأضرار التي تدمر العقل والبدن والقلب، وقد أكدت الأبحاث العلمية الحديثة أن تناول الخمر يؤدي إلى العديد من الأضرار والأمراض على صحة الإنسان⁵. ومن هذه الأمراض الاضطراب في القلب: تتسبب الخمر في زيادة عدد نبضات القلب حيث إن نسبة 1 % من الكحول تؤدي إلى زيادة نبضات القلب، والذي يؤدي إلى إجهاد عضلات القلب ثم إلى سداد شريان القلب⁶ (Block Artery) ومعه يمكن حدوث الوفاة⁷، كما كان موضوعاً في هذه صور الآتية:

⁽¹⁾ أخرجه البخاري، المرجع السابق ج 3 ص 1281 رقم: 3286

² أخرجه البخاري، المرجع السابق ج 3 ص 1281 رقم 3287

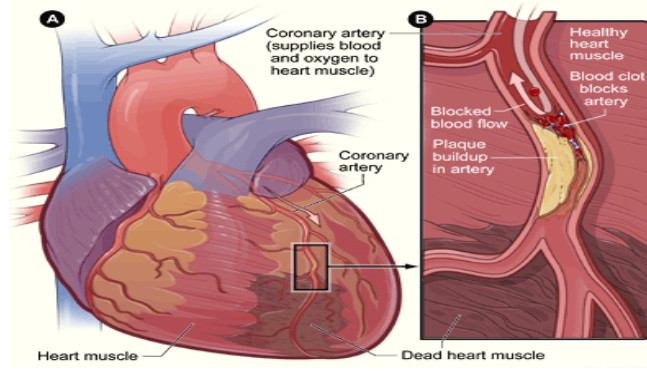
³ أخرجه البخاري، المصدر السابق ج 4 ص 1563 رقم 4045

⁴ أخرجه مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج 3، ص 1587 رقم: 2003.

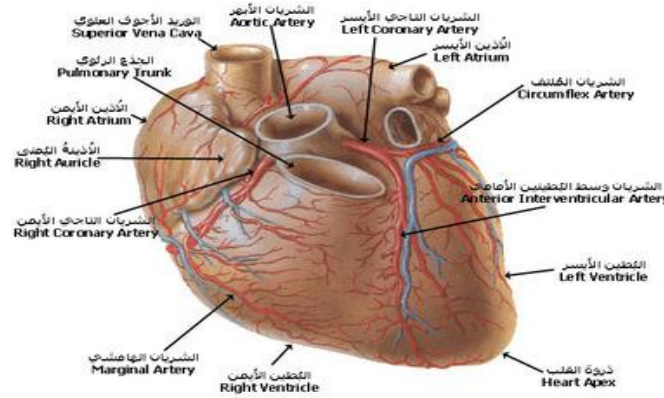
⁵ حسن ياسين، الإعجاز الطبي في الكتاب والسنة، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة وهبة (1417 هـ 1997 م) ص 57، بتصرف يسير، صالح عبد القوي السنبان، المرجع السابق ص 103 ، بتصرف يسير.

⁽⁶⁾ وهو النتيجة النهائية لتراكم اللويحات العصيدية على الجدران الداخلية للشرايين التي تغذ عضلة القلب. ويعتبر السبب الرئيسي للموت في الولايات المتحدة الأمريكية والعالم الصناعي. وفي حين يمكن ملاحظة علامات وأعراض المرض في المراحل المتقدمة منه، فإن معظم المرضى لا تظهر عليهم أي دلائل للمرض لعدة عقود، حيث يتطور المرض خلالها قبل أن تظهر الأعراض للمرة الأولى، وغالبا على شكل نوبة قلبية فجائية. انظر: داء شريان القلب التاجي، <http://ar.wikipedia.org/wiki/2010/12/5>.

⁷ حسن ياسين، المرجع السابق ص 62.



سداد الشريان (Blocked artery)



صورة مرض شرايين القلب

وقد قام الباحثون بدراسة مستفيضة لمعرفة دور الكحول في التأثير على عضلة القلب، ومن ذلك ما وجده بعض الباحثين من أن شرب كمية قليلة من الويسكي أوقيتين إلى ثلاثة أوقات تؤدي إلى انخفاض كمية الدم التي يضخها القلب في الضربة الواحدة (stroke volume) مع انخفاض إجمالي لكمية الدم التي يضخها القلب في الدقيقة الواحدة (cardiac output) وخصوصاً عند المصابين باعتلال عضلة القلب، يقول الدكتور برون وولد: "يتسبب الكحول في تثبيط قدرة عضلة القلب على الانقباض بشكل حاد أو مزمن حتى لو أخذ بكميات معتدلة"⁽¹⁾، وهناك أمراض كثيرة غير هذه التي تسببها الخمر للقلب.

ومن الأمراض التي تسببها الخمر أيضاً: الارتفاع في ضغط الدم، (High Blood Pressure) وكلما تضاعف الضغط يحدث هيجاناً يزيد في الضغط لدرجة ينفجر معها شريان في المخ والذي يسبب شللاً وقد ينجو منه الشخص جزئياً ولا ينجو كلياً. ومنها: أيضاً: تسبب الخمر احتقان الجهاز التناسلي، وقرحة المعدة والتهابات الجهاز الهضمي، وتؤدي أيضاً إلى التهابات شديدة مباشرة على الفم والبلعوم والمعدة والأمعاء والأعصاب والغدد الصماء والحواس².

ومنها أيضاً: تسبب الخمر للكبد التهاباً وتمزيقاً لخلاياه وتجمعات للدهنيات فيما يبقى منها، ثم تحجراً مع تليف يصل بالكبد إلى مرحلة التشمع (Liver Cirrhosis) التي لا شفاء منها حيث ظهر من خلال الدراسات أن نسبة السرطان الكبدي في حالة تشمع الكبد⁽³⁾

¹ د. صالح عبد القوي السنياني، المرجع السابق ص 90 ، بتصرف يسير

² حسن ياسين، المرجع السابق ص 66 ، بتصرف يسير

³ وهو مرض تليف الكبد بشكل بسيط على أنه حالة مرضية يحل فيها نسيج ليفي لا يؤدي أي وظيفة تذكر مكان خلايا الكبد الطبيعية، مما يؤدي إلى ظهور أنسجة الكبد على شكل أنسجة مليئة بالندبات، ويؤدي تقدم المرض إلى نقص في حجم نسيج الكبد الطبيعي وزيادة في النسيج الليفي الذي ينقبض. مرور الوقت بحيث يصبح الكبد أصغر حجماً وأكثر صلابة.



وإذا نظرنا ما سبق يتبين لنا أن المدمنين على الخمر تجدهم ساقطين اجتماعيًا ونفسيًا وصحيًا، ولذا وصف الله تعالى بأن فيها إثمًا كبيرًا، فقال: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا﴾ [سورة البقرة: 219]. ووصفها أيضًا بأنها رجس من عمل الشيطان فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة المائدة: 90]

ثانيًا: التدابير الوقائية في النهي عن التنفس في الإناء:

3 - عن عبدالله ابن أبي قتادة عن أبيه قال: «أن النبي -صلى الله عليه وسلم- نهى أن يتنفس في الإناء»¹

4 - عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: «أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يتنفس في الإناء ثلاثًا»².

معالم الطب الوقائي في هذه الأحاديث:

وفي هذه الأحاديث نهى للشارب أن يتنفس في الإناء الذي يشرب منه، أو ينفخ فيه، سواء انفرد بالشراب من هذا الإناء، أو شاركه فيه غيره، لأنه سيفسد السور على من سوف يشرب بعده ويكره الشرب من هذا الإناء، لأنه يتقذر بذلك إذا علم به. ولذا أرشدنا النبي - - بعدم النفخ في الإناء، حتى لو رأينا القذاة⁽³⁾ لا ننفخ فيه بل نصب الذي فيه القذاة ونشرب الباقي، وهكذا لو كنا لا نروي بنفس واحد قد نهانا أن نتنفس في الإناء، بل أمرنا أن نفصله عن أفواهنا ثم نتنفس ثم نعود ونشرب، وهذا كله من مكارم الأخلاق التي علمها النبي - - لأمته، لترقى في مدارج الكمال الإنساني. ومن وجه آخر أن الإنسان إذا نفخ في الشراب أو في الطعام يحصل من الهواء الذي يخرج منه أشياء مؤذية أو ضارة ويدخل في الشراب أو الطعام، فإذا شربه أو أكله سيسبب له أمراضًا خطيرة، وهكذا إذا تناوله غيره سيحصل له المشكلة نفسها، فلماذا نهى النبي - - عن النفخ فيه.

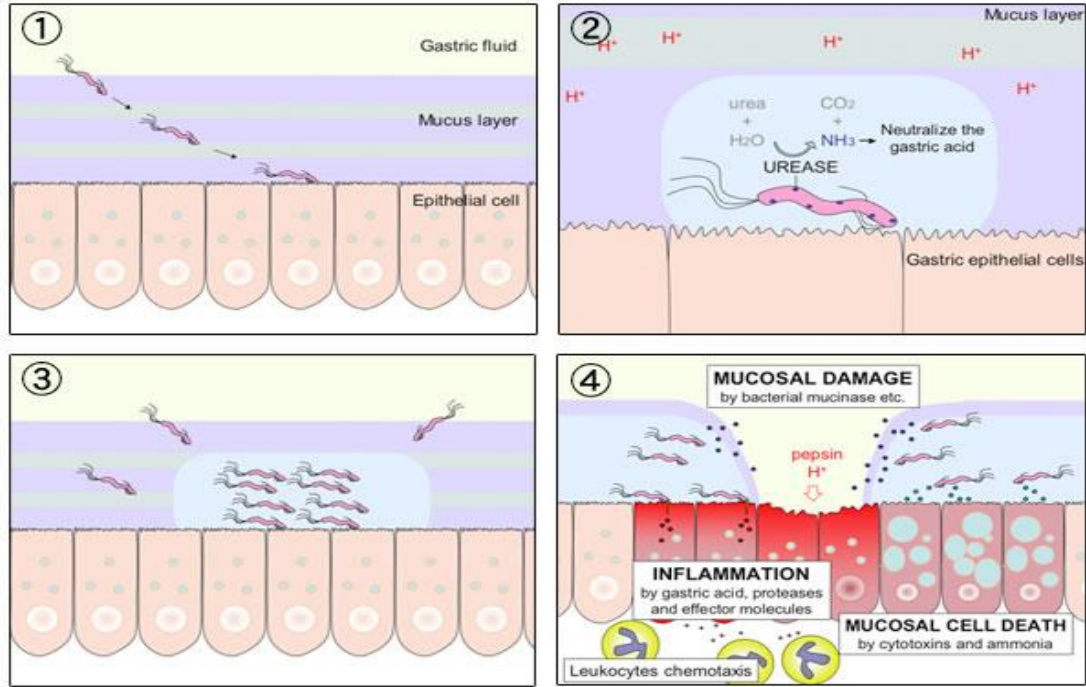
وقد ذكر الأطباء المعاصرون أضرارًا وأمراضًا يسببها النفخ أو التنفس في الإناء، وقالوا: إنه يوجد بكتيريا تعيش في جسم الإنسان يكون عددها أكثر من عدد خلاياه ولكنها -بفضل الله ورحمته- نافعة للجسم وغير ضارة بحيث إنها تساعد الجسم على مقاومة بعض الأمراض، وأنها أيضًا تقوم بعمليات تنشيط التفاعلات الحيوية، وأيضًا تنشيط التفاعلات اللازمة للهضم، وتسمى هذه البكتيريا هيليكوباكتر بيلوري (Helicobacter pylori) وهي توجد في المعدة والقلب والحلق والفم، وفي جميع جوانب جسم الإنسان، وسترى هذه البكتيريا كيف كانت تعيش في جسم الإنسان وشكلها وتواجدها في جسم الإنسان، وتحويلها أيضًا إلى بكتيريا أخرى تسبب خطرًا على جسم الإنسان

¹ أخرجه مسلم، المرجع السابق ج 3 ص 1601 رقم: 267

² أخرجه مسلم، المصدر نفسه ج 3 ص 1602 رقم 2028

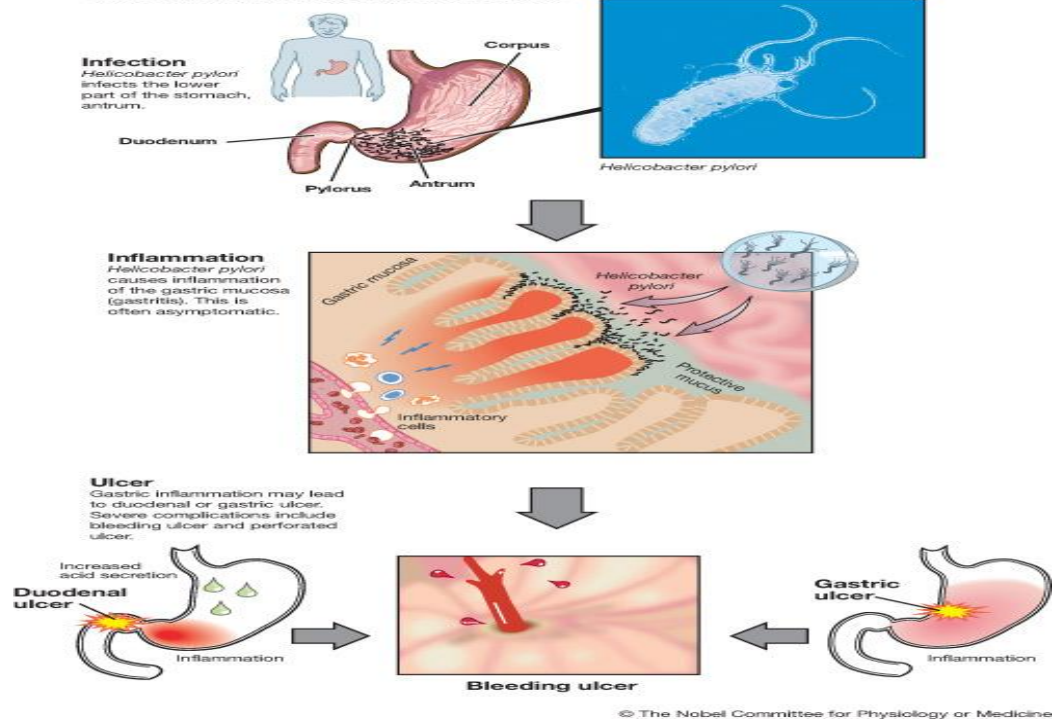
⁽³⁾ العود صغير أو ما أشبه ذلك الذي يسقط في الشراب.

كما هو موضح في الصورة الآتية:



وتوجد هذه البكتيريا بالملايين في الفم، وعند خروجها من الفم تكون ضارة بدرجة كافية أن تقتل ذلك الإنسان في بعض الأحيان، وأن تصيبه بمرض خطير في أحيان أخرى. وعندما ينفخ الإنسان أو يتنفس في الطعام أو الشراب خاصة إذا كان ساخناً، تقوم تلك البكتيريا عندما تخرج من الفم بواسطة النفخ أو التنفس بالتحوصل على الطعام الساخن أو الشراب، حيث إن البكتيريا كائنات حساسة للحرارة فنقوم بحماية نفسها بالتحوصل، ثم تتحول مرحلة بعد مرحلة حتى تصير هذه البكتيريا إلى بكتيريا أخرى تكون ضارة على صحة الإنسان بشكل كبير جداً. وكم مرة يقوم الإنسان بنفخ في ذلك الطعام وكم هي كمية البكتيريا المتواجدة فيه، وهذه هي الصورة الثانية التي تدل على كيف كان هذه البكتيريا بعد تحويلها إلى بكتيريا أخرى تسبب خطرة على جسم الإنسان.

Helicobacter pylori — the bacterium causing peptic ulcer disease



بعد ما أن تتحول تلك البكتيريا تبدأ الرحلة من الفم ومن ثم المرئ إلى أن تصل إلى المعدة فتقوم تلك البكتيريا بالتنشيط وإفراز انزيم اليوريا (Urease enzyme) الذي يسبب التهاباً في الأغشية المبطنه للمعدة مسبباً بذلك خرقاً في الجدار حيث تبدأ المعدة بهضم نفسها وحدث تآكل بجدار المعدة مما يؤدي إلى هضم المعدة لنفسها.

ومن الأمراض التي تسببها هذه البكتيريا بعد دخولها في الجسم السرطان، وتسبب تلك البكتيريا أيضاً ضعفاً في إفراز الأنسولين⁽¹⁾ (Insulin) بالبنكرياس (Pancreas) مما يؤدي إلى ارتفاع نسبة السكر بالدم وحدث مرض السكري⁽²⁾، ولأجل ما ذكرنا ننصح بعدم النفع على الطعام أو الشراب للوقاية من الأمراض الخطيرة.

ثالثاً: التدابير الوقائية في النهي عن الشرب من في السقاء.

هـ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «نهى النبي - ﷺ - أن يشرب من في السقاء»³.

6 - عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: «نهى رسول الله - ﷺ - عن اخْتِنَاتٍ⁽⁴⁾ الأسقية أن يشرب من أفواهها»⁵

معالم الطب الوقائي في هذه الأحاديث:

هذه الأحاديث مشتملة على تدابير وقائية هامة تضمنتها تعاليم هذا الدين الحنيف، حيث أرشد النبي - ﷺ - إلى عدم الشرب من في السقاء أو

⁽¹⁾ هرمون لمعالجة السكر.

⁽²⁾ الدكتور حسن بن أحمد بن حسن الفكي، أحكام الأدوية في الشريعة الإسلامية، الطبعة الأولى، الرياض المملكة العربية السعودية، دار المنهاج للنشر والتوزيع،

(1425 هـ)، ص 128، بتصرف وزيادة.

³ أخرجه البخاري، المرجع السابق ج 5 ص 2132 رقم 5306

⁽⁴⁾ خنث: الخاء والنون والثاء أصل واحد يدل على تكسر وتثنية. فالخنث: المسترخي المتكسر. ويقال خنث السقاء، إذا كسرت فمه إلى

خارج فسرته منه. فإن كسرتها إلى داخل فقد قبعته. انظر ابن فارس، المرجع السابق، ج 2 ص 180.

⁵ أخرجه مسلم، المرجع السابق ج 3 ص 1600 رقم: 2023

القربة، ومثل ذلك كل إناء يحفظ فيه الماء، ويشرب منه أكثر من مرة، لما يترتب على ذلك من مخاطر كثيرة على صحة الإنسان، وقد ذكر العلماء - منه ابن حجر - حِكْمًا كثيرة في النهي عن الشرب من في السقاء، وخلاصة هذه الحِكْم هي ما يأتي:

منها: ما يرجع إلى الشارب من احتمال حدوث ضرر له بشيء يدخل مع الماء في بطنه مثل الحشرات الصغيرة، أو الهوام المؤذية لا يراها الشارب مما يؤذيه.

ومنها: ما يعود للشارب وغيره من تغير الشراب عليه ثاني مرة، وعلى غيره من الناس، وإلى هذا الإشارة بقول عائشة: (لأن ذلك ينتنه)، لأجل ما يتعلق بفم السقاء من بخار النفس، أو بما يخالط الماء من ريق الشارب فيتقذره غيره. ومنها: اندفاع الماء بقوة ربما يشرق به، أو يؤذي العروق الضعيفة التي بإزاء القلب.

فهذه العلل واضحة، وعلاقة النهي بالجانب الوقائي ظاهرة، حيث نُهي المسلم عن تعاطي ما يضره في صحته، أو يضر غيره من المسلمين، وفي هذا حفظ للصحة، ووقاية من الضرر المتعلق بشرب الماء.¹

يقول الدكتور الكيلاني: "إذا لم يكن وعاءُ الماء شفافاً، وكان فمه مفتوحاً كالقُرب والجرار، فقد يسقط فيها شيء من الهوام أو القذَى، وقد تكون هذه الأشياء موجودة في الماء أصلاً عند تعبئته، فإذا شرب المرء من فم السقاء، قد تدخل هذه الأشياء إلى جوفه فتؤذيه، كما أنه بعد انتهاء شربه قد يعود شيء من ريقه مع ما يحمله من جراثيم إلى ماء السقاء، وقد تكثر أرياقُ الشاربين وتختلطُ في السقاء، وتنمو الجراثيم وتتكاثر، ويُنتنُ الماء إذا طال أمدُ وجوده في السقاء ويصبح خطراً على الشاربين".²

رابعاً: التدابير الوقائية في تغطية الأواني وإيكاء الأسقية

7 - عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - - يقول « غطوا الإناء وأوْكُوا السقاء³ فإن في السنة ليلة يتزل فيها وباء⁴ لا يمر بإناء ليس عليه غطاء أو سقاء ليس عليه وكاء إلا نزل فيه من ذلك الوباء»⁵.

معالم الطب الوقائي في هذا الحديث:

في هذا الحديث من التدابير الوقائية التي تضمنتها تعاليم الإسلام حيث أرشد النبي - - المسلم إلى أن يحفظ طعامه وشرابه من التلوث الذي قد يضر بصحته. والعناية بطعام الإنسان وشرابه من قواعد الطب المهمة في الجانب الوقائي، كما هو مقرر عند أهل الطب اليوم، فهم يقولون: إن ترك الطعام والشراب مكشوفاً، يجعله عرضة للتلوث بالأحياء الدقيقة (الميكروبات)، التي تسبب للإنسان أمراضاً عديدة وخطيرة. وفي أمر الشرع بتغطية الإناء وحفظ الطعام والشراب، أمر زائد على هذا، مما لم يحط بعلمه الطب الطبائعي.⁶

قال النووي - رحمه الله -: "ذكر العلماء للأمر بالتغطية فوائد منها: الفائدةان اللتان وردتا في هذه الأحاديث وهما: صيانته من الشيطان فإن الشيطان لا يكشف غطاء ولا يحل سقاء. وصيانته من الوباء الذي يتزل في ليلة من السنة، والفائدة الثالثة صيانته من النجاسة والمقذرات، والرابعة صيانته من الحشرات والهوام فرما وقع شيء منها فيه فشربه وهو غافل أو في الليل فيضر به".⁷

¹ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة - بيروت، (1379هـ)، ج 10 ص 91، بتصريف، والفكي، المرجع السابق، ص 59 - 60

² الكيلاني، الدكتور عبد الرزاق الكيلاني، الحقائق الطبية في الإسلام، الطبعة الأولى، دار القلم- دمشق، والدار الشامية- بيروت، (1417هـ- 1996م)، ص 151.

³ أي شُدُّوا رأسها واربطوها بالوكاء وهو الخيط، هذه الطريقة في تغطية الأواني خاصة بالآنية القديمة التي كانت في عهد النبي عليه الصلاة والسلام ومن تبعهم، ولكن الأواني الحالية فيكفي تغطيتها بالغطاء الخاص بها، المهم عدم تركها مكشوفة.

⁴ الوباء بالقصر والمد مرض عام وجمع المقصور أوباءً بالمد وجمع الممدود أوبئةً، مختار الصحاح، المرجع السابق، ص 740.

قال النووي: الوباء مرض عام يفض إلى الموت غالباً، شرح صحيح مسلم، المرجع السابق ج 13 ص 187.

⁵ أخرجه مسلم، المرجع السابق ج 3 ص 1596 رقم: 2014

⁶ د. حسن الفكي، المرجع السابق ص 48 بتصريف يسير.

⁷ النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، الطبعة الثانية، بيروت، دار إحياء التراث العربي (1392 هـ)

ج 13 ص 183.

لقد أثبت الطب الحديث أن الأمراض المعدية تسري في مواسم معينة من السنة، بل إن بعضها يظهر كل عدد معين من السنوات، وحسب نظام دقيق لا يعرف تعليقه حتى الآن، ومن أمثلة ذلك: أن الحصبة (Measles)، وشلل الأطفال (Poliomyelitis)، تكثر في سبتمبر وأكتوبر، والتيفود (Typhoid) يكثر في الصيف، أما الكوليرا (Cholera) فإنها تأخذ دورة كل سبع سنوات، والجذري (Smallpox) كل ثلاث سنين، وهذا يفسر لنا الإعجاز العلمي في قول رسول الله - « فإن في السنة ليلة يتزل فيها وباء لا يمر بإناء ليس عليه غطاء أو سقاء ليس عليه وكاء إلا نزل فيه من ذلك الوباء». وهذه الحقائق العلمية لم تكن معروفة إلا بعد اكتشاف الميكروسكوب (Microscopy)¹، ولذلك إذا لم يغط الإنسان إناءه ستزل هذه الأمراض فيه، وإذا تناول الطعام أو الشراب من هذه الأواني سيصاب بهذه الأمراض الخطيرة.

وكذلك هناك بعض الأمراض المعدية والميكروبات تنتقل بالرداذ عن طريق الجو المحمل بالغبار، وإذا نزلت في الأواني المكشوفة، وتناولها الإنسان سيصاب بهذه الميكروبات. وهذا يدل على حكمة الإسلام حيث نهي كل ما يضر الإنسان من ناحية معيشتة الدنيوية والأخروية.

خامساً: التدابير الوقائية في النهي عن الشرب قائماً:

8 - عن أنس - رضي الله عنه - عن النبي - «أنه نهي أن يشرب الرجل قائماً» قال قتادة: فقلنا فالأكل؟ فقال: ذاك أشر أو أخبث².

معالم الطب الوقائي في هذا الحديث:

دل هذا الحديث عن النبي - على النهي في الشرب قياماً، وقد ذكر الأطباء أن الشرب قائماً يسبب أضراراً لصحة الإنسان. يقول الدكتور عبد الرزاق الكيلاني: إن الشرب وتناول الطعام جالساً أصح وأسلم وأهنأ وأمرأ حيث يجري ما يتناول الأكل والشارب على جدران المعدة بتؤدة ولطف، أما الشرب واقفاً فيؤدي إلى تساقط السائل بعنف إلى قعر المعدة ويصدمها صدماً، وإن تكرار هذه العملية يؤدي مع طول الزمن إلى استرخاء المعدة وهبوطها وما يلي ذلك من عسر هضم⁽³⁾.

قال الدكتور إبراهيم الراوي: إن الإنسان في حالة الوقوف يكون متوتراً، ويكون جهاز التوازن في مراكزه العصبية في حالة فعالة شديدة حتى يتمكن من السيطرة على جميع عضلات الجسم لتقوم بعملية التوازن والوقوف منتصباً. وهي عملية دقيقة يشترك فيها الجهاز العصبي العضلي في آن واحد مما يجعل الإنسان غير قادر للحصول على الطمأنينة العضوية التي تعتبر من أهم الشروط الموجودة عند الطعام والشراب، هذه الطمأنينة يحصل عليها الإنسان في حالة الجلوس حيث تكون الجملة العصبية والعضلية في حالة من الهدوء والاسترخاء وحيث تنشط الأحاسيس وتزداد قابلية الجهاز الهضمي لتقبل الطعام والشراب وتمثله بشكل صحيح.

وقال أيضاً: إن الطعام والشراب قد يؤدي تناوله في حالة الوقوف - القيام - إلى إحداث انعكاسات عصبية شديدة تقوم بها نهايات العصب المبهم المنتشرة في بطانة المعدة، وإن هذه الانعكاسات إذا حصلت بشكل شديد ومفاجئ فقد تؤدي إلى انطلاق شرارة النهي العصبي الخطيرة (Vagal Inhibition) لتوجيه ضربتها القاضية للقلب، فيتوقف محدثاً الإغماء أو الموت المفاجئ. كما أن الاستمرار على عادة الأكل والشرب واقفاً تعتبر خطيرة على سلامة جدران المعدة وإمكانية حدوث تقرحات فيها حيث يلاحظ الأطباء الشعاعيون أن قرحات المعدة تكثر في المناطق التي تكون عرضة لصددمات اللقم الطعامة وجرعات الأشربة بنسبة تبلغ 95 % من حالات الإصابة بالقرحة. كما أن حالة عملية التوازن أثناء الوقوف ترافقها تشنجات عضلية في المريء تعيق مرور الطعام بسهولة إلى المعدة ومحدثة في بعض الأحيان آلاماً شديدة تضطرب معها وظيفة الجهاز الهضمي، وتفقد صاحبها البهجة عند تناوله الطعام وشرابه⁽⁴⁾.

¹ الفكي، المرجع السابق، ص 70، بتصرف يسير.

² أخرجه مسلم المرجع السابق، باب كراهية الشرب قائماً، ج3 ص 1600 رقم الحديث: 2024،

⁽³⁾ الكيلاني، الدكتور عبد الرزاق الكيلاني، الحقائق الطبية في الإسلام، دار القلم - دمشق، والدار الشامية - بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ - 1996م، ص 154.

⁽⁴⁾ الدكتور إبراهيم الراوي، أضرار الشرب قائماً طبياً ونبوياً، <http://majles.alukah.net/showthread.php?t=34565>

9 - عن نافع رحمه الله - قال : كان ابن عمر - رضي الله عنهما لا يأكل حتى يؤتى بمسكين يأكل معه فأدخلت رجلاً يأكل معه فأكل كثيراً فقال: يا نافع لا تدخل هذا علي سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: «المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء»¹

10 - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « يأكل المسلم في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء »²

معالم الطب الوقائي في هذه الأحاديث:

دلّ هذه الأحاديث عن النبي - - على ذم الشبع والامتلاء من المأكولات، وحث على عدم التوسع فيه، ليحصل للإنسان الخفة والنشاط والسلامة من التعرض للأمراض والأسقام التي تنتج عن كثرة الأكل، ولذا وصف النبي - - البطن بأنه وعاء لشرب إذا ملأه الإنسان وتجاوز عن طاقته، لما في ذلك من التثخمة، والتسبب في حصول الأمراض، ولما يورثه من الكسل والفتور والإخلال إلى الراحة، ولما كان الشبع وتجاوز الحد في المأكولات يسبب الأمراض، أرشد النبي - صلى الله عليه وسلم - الإنسان إلى أنه يكفي عدد من الأكلات التي تحصل بها حياته، فإن كان لا محالة في زيادة عن هذا المقدار، فليكن قدر ما يجعله في المعدة من الأكل والشرب يكون في حدود ثلثي بطنه ليبقى الثلث يُمكن معه التنفس بسهولة، ويُمكنه أيضاً أن يخف على معدته ولا يتولد عنه شيء من الأدوية.

قال ابن القيم - رحمه الله - : "ومراتبُ الغذاء ثلاث: إحداها: مرتبة الحاجة، والثانية: مرتبة الكفاية، والثالثة: مرتبة الفضلة، فأخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - : أنه يكفيهُ لقيَماتٌ يُقِمِّنُ صُلْبُهُ، فلا تسقط قُوَّتُهُ، ولا تضعف معها، فإن تجاوزها، فليأكلْ في ثُلثِ بطنه، ويدعِ الثُلثَ الآخرَ للماء، والثالثَ لِلنَفْسِ، وهذا من أنفع ما للبدن والقلب، فإن البطن إذا امتلأ من الطعام ضاق عن الشرب، فإذا ورد عليه الشرب ضاق عن النَّفْسِ، وعرض له الكربُ والتعبُ بحمله بمثالة حامل الحمل الثقيل، هذا إلى ما يلزم ذلك من فساد القلب، وكسلِ الجوارح عن الطاعات، وتحركها في الشهوات التي يستلزمها الشَّبَعُ، فامتلاء البطن من الطعام مضرٌ للقلب والبدن"⁽³⁾.

وقال أيضاً: الأمراض نوعان: أمراضٌ مادية تكون عن زيادة مادة أفرطت في البدن حتى أضرتْ بأفعاله الطبيعية، وهي الأمراضُ الأكثرية، وسببها إدخالُ الطعام على البدن قبل هضم الأول، والزيادة في القدر الذي يحتاج إليه البدن، وتناولُ الأغذية القليلة النفع، البطيئة الهضم، والإكثار من الأغذية المختلفة التراكيب المتنوعة، فإذا ملأَ الآدمي بطنه من هذه الأغذية، واعتاد ذلك، أورثته أمراضاً متنوعة، منها: بطئُ الزوالِ وسريعه، فإذا توسَّط في الغذاء، وتناول منه قدرَ الحاجة، وكان معتدلاً في كميته وكيفيته، كان انتفاعُ البدن به أكثرَ من انتفاعه بالغذاء الكثير

وقد أكد الأطباء حديثاً، مخاطر جمة من اعتياد كثرة الأكل، وقالوا: إن المعدة إذا امتلأت بالطعام لم تجد العصارات الهاضمة مكاناً لها لتعمل عملها، وشعر الإنسان بعد ذلك بالتثخمة وعسر الهضم. فإتخام المعدة بالطعام يؤدي إلى إحداث تلبك معدي ومعوي، لا تجدي معه المهضومات، كما يؤدي إلى عودة الطعام إلى المريء، وحدوث ألم شديد في المعدة، أو حرقة وجشاعات، عند المصابين بفتق المعدة، ومن لطيف ما توصل إليه الأطباء أخيراً أن ابتكروا طريقة جديدة لإنقاص الوزن، وذلك بإدخال (بالون) في المعدة، وينفخ بقدر ما يملأ ثلث المعدة، ويبقى ثلثاها الآخران فارغين للطعام والشرب، وقد وجد الباحثون أنها طريقة فعالة في إنقاص الوزن. فحصلت لهم موافقة السنة

¹ أخرجه البخاري، المرجع السابق، باب المؤمن يأكل في معي واحد، ج 5 ص 2061 رقم الحديث: 5078

² أخرجه البخاري، المصدر نفسه ج 5 ص 2062 رقم الحديث: 5081

⁽³⁾ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتاب العربي، لبنان، (

رغم أنوفهم، ورجعوا إلى مقتضى الهدي النبوي، الذي سبقهم في ذلك، مع أنه أكمل وأجل⁽¹⁾

المبحث الرابع:

التدابير الوقائية في جانب الطهارة

أولاً: التدابير الوقائية في النهي عن استخدام اليد اليمنى في إزالة النجاسة.

11 - عن أبي قتادة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «لا يمسن أحدكم ذكره يمينه وهو يبول ولا يتمسح من الخلاء يمينه ولا يتنفس في الإناء»².

معالم الطب الوقائي في هذا الحديث:

دلّ هذا الحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - على نهي استخدام اليد اليمنى في إزالة النجاسة، وخاصة نجاسة البول والغائط، وهذا وإن كان لشرف اليمين، إلا أنه تنبيه على الجانب الوقائي أيضاً، من أن اليد التي تباشر الخلاء قد تنقل شيئاً من القذر والأذى، واليد اليمنى هي التي يباشر بها العبد الأكل والشرب والمصافحة والأخذ والإعطاء، فكان استخدامها لإزالة القذر أشد في التعرض للإصابة بالأضرار، فنهت الشريعة عن ذلك، لأن في ذلك قمة الوقاية بالمحافظة على عدم نقل الميكروبات والجراثيم من البراز⁽³⁾.

وقد ذكر الأطباء أن البراز يشتمل على الجراثيم الكثيرة منها: ميكروب التيفود (Typhoid microbe) والكوليرا وفيروس شلل الأطفال (Poliovirus) والزحار (Dysentery)، والالتهاب الكبدي الوبائي (أ)، وفيروس النزلات المعوية، والديدان المعوية (Intestinal worms)، والكولونيات. فإذا لم يغسل المرء يديه بالماء والصابون بعد التبرز انتقلت هذه الجراثيم والطفيليات إلى أظافره وأصابعه، ومن ثم إلى فمه ثم إلى الجهاز التنفسي والمضغى⁽⁴⁾.

ثانياً: التدابير الوقائية في النهي عن استخدام العظام والروث في إزالة النجاسة

12 - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: أتبعْتُ النبي - صلى الله عليه وسلم - وخرج لحاجته فكان لا يلتفت فَدَنَوْتُ منه فقال: «ابغني أحجاراً أَسْتَنْفِضُ بها أو نخوه، ولا تأتي بعظم ولا روث، فأتيته بأحجار بطرف ثيابي فوضعتها إلى جنبه وأعرضت عنه، فلما قضى اتبعه بمن»⁵.

13 - عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - يقول: «أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - الغائط فأمرني أن آتية بثلاثة أحجار، فوجدت حجرتين والتمست الثالث فلم أجده، فأخذت روثه فأتيته بها، فأخذ الحجرتين وألقى الروث، وقال: هذا ركس»⁶.

معالم الطب الوقائي في هذه الأحاديث:

من سماحة الإسلام وكمالهِ أن أباح إزالة النجاسة البول والغائط في محلّهما بغير الماء، ولكن بشرط أن يكون ذلك بطاهر، ولذلك مُنِع من استخدام العظام والروث في إزالة النجاسة لأنهما لا يطهران، وبأنهما من طعام الجن كما دلّ على ذلك حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - وسبب

⁽¹⁾ الفكي، د. حسن بن أحمد بن حسن الفكي، *أحكام الأدوية في الشريعة الإسلامية*، الطبعة الأولى، دار المنهاج للنشر والتوزيع، 1425 هـ، ص 79 و 88 بتصرف يسير.

² أخرجه مسلم، المرجع السابق، باب النهي عن الاستنجاء باليمين، ج 1 ص 225 رقم: الحديث 267

⁽³⁾ الفكي، المرجع السابق، ص 101 بتصرف.

⁽⁴⁾ الكيلاني، الدكتور عبد الرزاق الكيلاني، *الحقائق الطبية في الإسلام*، دار القلم دمشق، والدار الشامية ببيروت، الطبعة الأولى 1417 هـ - 1996 م، ص 102.

⁵ أخرجه البخاري المرجع السابق، باب الاستنجاء بالحجارة ج 1 ص 70 رقم الحديث: 154

⁶ أخرجه البخاري المصدر نفسه، ج 1 ص 70 رقم الحديث: 155

⁽⁷⁾ وفيه - فقلت (أي أبو هريرة): ما بال العظم والروث؟ قال (أي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -): «هما من طعام الجن وإنه أتاني وفد جن نصيبين ونعم الجن فسألوني الزاد فدعوت الله لهم أن لا يمروا بعظم ولا بروث إلا وجدوا عليها طعاماً» أخرجه البخاري ج 3 ص 1401 رقم 3748.

ت بأثمها لا يطهران لأن الروث إن كان من الدواب التي يُحرم أكلها فإنه نجس، والنجاسة لا تزال بالنجاسة، وإن كان من الحيوانات التي يُباح أكل لحمها فإنه من طعام الدواب الجنب، ولذلك لا يجوز التطهير به في كلا الوجهين، وأما العظام فلأنه من طعام الجن، ولأنه أيضاً لرج لا يتماسك فلا ينشف النجاسة ولا يقطع البلة، ولذلك لا تصلح الطهارة به. والذي يرتبط بالجانب الوقائي في المسألة، هو ما إذا كان النهي لنجاسة العظام، أو الروث، والتي لا تخلو غالباً من التلوث بالأحياء الدقيقة (الميكروبات)، والتي تنتقل منها إلى الإنسان مما يجعله عرضة للإصابة بالأمراض، التي تنتقل عن طريق مباشرة النهي عنه، وهذا من مظاهر عناية الشرع بصحة الإنسان البدنية، وهو إن كان قد جاء ضمناً وتبعاً، إلا أن الجانب الوقائي ظاهر فيه⁽¹⁾.

ثالثاً: التدابير الوقائية في الاستنجاء بالماء من التبرز

14 - عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: «كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدخل الخلاء فأحمل أنا وغلّام إداوة من ماء وعذرة يستنجي بالماء»².

معالم الطب الوقائي في هذه الأحاديث:

قد فطر الله - سبحانه - الإنسان وجبله على أن يتخلص أولاً بأول مما في أمعائه وفي مثانته من غائط وبول وغيرهما من نفايات الجسم، حتى يظل الجسم الإنساني في حالة من النقاء والصحة والقدرة على أداء الوظائف الطبيعية والحوية التي يقوم بها، وبعد عملية التخلص تلك، فإنه يجب على المسلم أن ينظف هذه الأماكن بالماء أو الأحجار كما دلّت عليه الأحاديث السابقة، وهذه العملية فائدة طبية وقائية عظيمة، فقد أثبت الطب الحديث أن النظافة الذاتية لتلك الأنحاء بالماء تقي الجهاز البولي من التهابات الناتجة عن تراكم الميكروبات والجراثيم، كما أنها تقي الشرج (Anus) من الاحتقان ومن حدوث التهابات والدمامل (Boils)، وفي حالة المرضى خصوصاً مرضى السكر (Diabetes) أو البول السكري فلأن بول المريض يحتوي على كمية كبيرة من السكر، فإذا بقيت آثار البول فإن هذا يجعل العضو عرضة للتقيح (Suppuration) والتهابات، وقد تنتقل الأمراض في وقت لاحق إلى الزوجة عند الجماع، وقد يؤدي إلى عقم تام⁽³⁾. وقد أوضحت دراسة علمية أنّ ما يخرج من السبيلين يحمل أعداداً هائلة من السموم والجراثيم التي إن بقي منها أثر في الجسم، سببت له الكثير من المضار، وأن الحرص على نظافة السبيلين عامل هام في وقاية الجسم من حدوث سرطان الجهاز التناسلي (Genital Cancer)، ولهذا تقلّ أعداد المصابين بهذا السرطان بين صفوف المسلمين الذين يحرصون على تقصي النظافة وانتقاص الماء، ويكفينا أن نعرف أن جرماً واحداً من البراز يحمل مئة ألف مليون جرثومة، ولنا أن نتخيل ما قد ينتج عن إهمال انتقاص الماء من ضرر وأذى بالغين⁽⁴⁾. هناك حدث غريب وقع في دولة إنجلترا (England) في عام 1963م وبالتحديد في مدينة "داندي" (Dundee) حدث أن انتشر مرض التيفود (Typhoid) بشكل عاصف مما أصاب السكان بالذعر الشديد، وبذل الجميع طاقاتهم في محاولات شتى لوقف انتشار المرض، وفي النهاية اتفق العلماء على إذاعة تحذير في مختلف وسائل الإعلام يأمر الناس بعدم استعمال الأوراق في دورات المياه، واستبدالها باستخدام المياه مباشرة في النظافة وذلك لوقف انتشار العدوى، وبالفعل استجاب الناس، وللعجب الشديد توقف فعلاً انتشار الوباء وتمت محاصرته، وتعلم الناس هناك عادة جديدة عليهم بعد معرفة فائدتها، وأصبحوا يستخدمون المياه في النظافة بدلاً من المناديل الورقية⁽⁵⁾.

(1) الفكي، المرجع السابق، ص 103.

(2) أخرجه البخاري، المرجع السابق، باب حمل العذرة مع الماء في الاستنجاء ج 1 ص 69 رقم الحديث: 151

(3) د. صالح عبد القوي السنبراني، المرجع السابق ص 105، بتصرف يسير

(4) د. حسين عبد الله العلي، خصال الفطرة في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة مع الطب الحديث، الطبعة الأولى، دار الضياء للنشر والتوزيع، (1425 هـ - 2004) ص 242، بتصرف

(5) د. صالح عبد القوي السنبراني، المرجع السابق ص 107، بتصرف يسير

15- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - قال: « حق لله على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام يغسل رأسه وجسده»¹.

16 - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: إن نبي الله - قال: «إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جهدها فقد وجب عليه الغسل»².

التخريج:

أخرجه البخاريّ في صحيحه (1 / 110 / 287) ومسلم في صحيحه (1 / 271 / 348) كلاهما من طرق عن هشام بن أبي عبد الله الدستوائي عن قتادة بن دعامة عن الحسن البصري عن أبي رافع نفيح الصائغ المديّ عن أبي هريرة به.

معالم الطب الوقائي في هذه الأحاديث:

ولما كانت النظافة والطهارة من الإسلام، بل هي سلوك إسلامي، وعبادة يتقرب بها المسلم إلى ربه، وقُرْبَةً من القُرْب؛ فهي عند المسلم شطر الإيمان؛ أمر النبي - بالاغتسال عند حصول الجنابة، وعند الاحتلام إذا صاحب هذا خروج المني، وهكذا أمر المرأة أن تغتسل إذا هي طهرت من الحيض أو النفاس، كما أمر المسلم أن يخصص يوماً من الأسبوع لغسل رأسه وجسده، وهذا يحقق غاية الكمال في نظافة الجسم كله، ويزيل عددًا هائلاً من الكائنات الدقيقة التي تعيش على جلد الإنسان.

وقد ذكر الأطباء أن الجلد يعدّ مخزناً لنسبة عالية من البكتيريا والفطريات، ويكثر معظمها على البشرة وجذور الشعر، ويتراوح عددها من عشرة آلاف إلى مائة ألف جرثومة على كل سنتيمتر مربع من الجلد الطبيعي، وفي المناطق المكشوفة منه، يتراوح العدد بين مليون إلى خمسة ملايين جرثومة/2سم، كما ترتفع هذه النسبة في الأماكن الرطبة مثل: المنطقة الإربية وتحت الإبطن، إلى عشرة ملايين جرثومة/2سم، وهذه الجراثيم في تكاثر مستمر⁽³⁾.

والغسل والوضوء خير مزيل لهذه الكائنات، إذ ينظف الغسل جميع جلد الإنسان كما جاء في غسل النبي - أنه يروي بشرته ثم يفيض الماء على سائر جسده، وينظف الوضوء الأجزاء المكشوفة منه، وهي الأكثر تلوثاً بالجراثيم، لذا كان تكرار غسلها أمراً مهماً، وقد أثبتت دراسات عدة قام بها علماء متخصصون: أن الاستحمام يزيل عن جسم الإنسان 90% من هذه الكائنات، أي بأكثر من مائتي مليون جرثومة في المرة الواحدة، وهذه الجراثيم تلتصق بالجلد بواسطة أهداب قوية عديدة، لذا أمر الشارع بتدليك الجلد في الوضوء والغسل⁽⁴⁾، وفي وجوب الاغتسال من الجنابة حكم صحيّة رائعة يمكن أن نلخصها في النقاط التالية:

تبين الدراسات الحديثة حول العلاقة الجنسية أن الجماع، وقذف المني بأي سبب كان يؤدي إلى فتور وارتخاء يعلل طبيّاً بوهن شديد في الجملة العصبية عند وصول شريك الجماع إلى اللذة والقذف، بحصول توسع في الأوعية الدموية المحيطة مما يؤدي بصاحبه إلى فقدان قسط كبير من نشاطه العضلي والفكري، وإن الاغتسال عندها ينهش الشبكات العصبية الحسية لتوقظ الجهاز العصبي من سباته وليسترجع بذلك حيويته ونشاطه كما ينشط الدوران الدموي ويعيد إليه توازنه⁽⁵⁾.

يتسبب عن اللقاء الجنسي وهن نفسي ورغبة في النوم، وعملية الغسل تفيد بتنشيط الجسم والروح، ويحس بالبهجة والانشراح، ينقل الدكتور عصام كاظم فتحى الراوي- المتخصص في الجيولوجيا - عن مصادر علمية حديثة أن الجلد أثناء عملية القذف يفرز من خلال مساماته عرقاً ذا تركيز عال بسمومه، ويمكن أن يعود فيمتصها ويتأذى بذلك، والاغتسال إجراء طبي حاسم لتطهير الجلد ومساماته من هذه السموم، ولذا تدعو التوجيهات الصحية إلى الاغتسال عقب كل مجهود عضلي كبير، وبعد التدريبات الرياضية الشاقة، فالاغتسال يزيل آثار

¹ أخرجه مسلم، المرجع السابق، باب الطيب والسواك يوم الجمعة ج2 ص 582 رقم الحديث: 849

² أخرجه البخاريّ، المرجع السابق، باب إذا التقى الختانان، ج1 ص 110 رقم: 287

⁽³⁾ د. حسين عبد الله العلي المرجع السابق ص 120 ، بتصرف يسير .

⁽⁴⁾ الفكي، المرجع السابق، ص 112 بتصرف

⁽⁵⁾ د. صالح عبد القوي السنبراني، المرجع السابق ص 109 ، بتصرف

الجهد العضلي ويخفف عقابيله، والجماع من هذه الناحية جهد عضلي⁽¹⁾.

والاغترسال بالماء الساخن أو البارد له فوائد صحيّة رائعة كما قرّر ذلك الأطباء فقالوا: إنّ الاغترسال بالماء الساخن وحمامات البخار يعمل على تفتح مسام الجسم جميعها، ويؤدي هذا بالتبعية إلى تنفس خلايا الجسم بشكل طبيعي، ومعروف أن خلايا جسم الإنسان تحتاج إلى عملية التنفس مثلها مثل أي كائن حي، وكذا يجدد الاغترسال بالماء الساخن الخلايا التالفة والمتهالكة فيكتسب الجسم النشاط والحيوية، وتهدأ الأعصاب، ولو كان الحمام الساخن في الليل فإنه يساعد على النوم الطبيعي العميق، والحمام الساخن يقلل من احتمالات الإسهال لأنه يعين على الهضم الجيد⁽²⁾.

وأما الاغترسال بالماء البارد فيجعل جميع خلايا الجسم بما فيها من شرايين وأوردة تعاود الانكماش بعد التمدد، وهذا يساعدها على اكتساب المرونة اللازمة التي تقيها الكثير من أمراض القلب والدورة الدموية؛ مما ينشط التنفس ويزيد من احتمالات اعتدال النبض والضغط، والحمام البارد يفيد لمن كان بدنه نشيطاً ولا يعاني من مشكلات في الهضم، ويمكن أن يستعمل بعد الماء الساخن لتقوية البشرة وإمداد الجسم بالحيوية والنشاط، على ألا يكون الماء شديد البرودة، ولا يستعمل الحمام البارد عقب الجماع أو عقب الطعام مباشرة لما يسببه من الأخطار، وقرّروا أيضاً أن الاغترسال مع التدليك يجدد نشاط الجسم بشكل مذهش، ويجدد الحيوية باستمرار ويساعد على النوم الصحي العميق، وكذا ينبه الحواس وينشط الدورة الدموية ويساعد على تخفيف العبء الواقع على القلب⁽³⁾.

المبحث الخامس:

التدابير الوقائية في جانب المسكن

أولاً: التدابير الوقائية في نظافة المياه

17 - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «لا يغتسل أحدكم في الماء الدائم وهو جنب، فقال: كيف يفعل يا أبا هريرة؟ قال: يتناولها تناولاً»⁴.

18 - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يغتسل منه»⁵.

معالم الطب الوقائي في هذه الأحاديث:

دلّت هذه الأحاديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - على نظافة المياه وعدم تلوثه، وسبب اهتمام النبي - صلى الله عليه وسلم - بذلك هو: أن الماء يعتبر شريان الحياة الذي يتضمن للإنسان البقاء على هذا الكوكب، فلا يستطيع أحد الاستغناء عنه لأن أصل كل الأحياء منه كما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأنبياء: 31] أي كل شيء حيّ فهو مخلوق من الماء، ولذا إذا كان الماء ملوثاً كان الأحياء في الخطر ويؤدي ذلك إلى فقدان الكون كله، لأن الأحياء سيصابون بأمراض والتي لا أحد يعرف مدى تأثيرها على صحتهم إلا خالقهم، ولذا شدد الإسلام على تجنب تلويث الماء بإلقاء الزبالاة أو النجاسة فيه، أو التبرز أو التبول فيه أو على شواطئه.

⁽¹⁾ الدكتور قاسم سويدان، الموقع نفسه.

⁽²⁾ الفكي، المرجع السابق، ص 111 بتصرف وزيادة.

⁽³⁾ د. حسين عبد الله العلي المرجع السابق ص 122 ، بتصرف

⁴ أخرجه مسلم، المرجع السابق، باب النهي عن الاغترسال في الماء الراكد، ج 1 ص 236 رقم الحديث: 283.

⁵ أخرجه مسلم، المرجع السابق، باب النهي عن البول في الماء الراكد، ج 1 ص 235 رقم: 282.

وقد ذكر الأطباء الأمراض الخطيرة التي تصيب الإنسان بواسطة المياه الملوثة وقالوا: إن الماء الملوث ينقل الكوليرا والتيفود وشلل الأطفال (Poliomyelitis) والتهاب الكبد المعدي (Infectious hepatitis)، وينقل ديدان البلهارسيا (Schistosoma) عند التبول فيه، وينقل الإنكلستوما (Hookworms) عن طريق التبرز في الطين قرب الشاطئ، وذكروا أن هذه الأمراض يسببها بعض البكتيريا التي كانت متوفرة في المياه الملوثة، ومن هذه البكتيريا:

- بكتيريا السلمونيلا (Salmonella) والتي تسبب أمراض حمى التيفوئيد (Typhoid) والتزلات المعوية (Gastroenteritis).
 - بكتيريا الشيغالا (Shigella) وطفيليات الجيارديا (Giardia Parasites) والأميبا (Amoeba) وكل هذه البكتيريا تسبب أمراض الإسهال (Diarrhea)، وقد جاء في قرار منظمة الصحة العالمية: أن الإسهال يقتل بما يقدر بنحو 1.6 مليون طفل سنوياً، وهو ينجم أساساً عن المياه الملوثة وسوء الإصحاح⁽¹⁾.
- وهذه هي صورة بكتيريا طفيليات الجيارديا (Giardia Parasites)



وتعيش هذه البكتيريا في أمعاء البشر والحيوانات، والطريقة الأكثر للإصابة بها هو عن طريق شرب المياه الملوثة كشراب من ماء البحيرات والأنهار والآبار وخزانات الماء الملوثة.

- بكتيريا الإشريشيا كولاي (Escherichia) والتي تسبب أمراض الجفاف (Dehydration) والإسهال والقيء (Vomiting) عند الأطفال بصفة خاصة.
- بكتيريا الفيبريو (Vibrio) والتي تسبب مرض الكوليرا.
- بكتيريا اللبتوسبيرا (Leptospira) فينجم عنها حدوث التهابات الكلى (Nephritis) والكبد (Hepatitis) والجهاز العصبي (Nervous system)⁽²⁾.

وهذه هي صورة مرض التهاب الكلى وكيف كانت تدمر الكلية بكاملها⁽³⁾.



التهاب الكلى (Nephritis)

للمحافظة من أمراض المياه الملوثة هو أن يتم الشرب من مصدر الماء الموثوق أي مياه صحية وعدم التعبئة المباشرة من محطات النحلية تجنبا

⁽¹⁾ د. محمود الحاج قاسم محمد، الطب الوقائي النبوي، الطبعة الثانية، دمشق- سوريا، دار النفاس للطباعة والنشر والتوزيع، (1422 هـ

- 2001 م) ص 50 بتصرف

⁽²⁾ د. محمود الحاج قاسم محمد، المرجع السابق، ص 70 بتصرف

⁽³⁾ http://www.bbc.co.uk/health/physical_health/conditions/nephritis1.shtml 2010/08/24

لزيادة الكلور أو وجود البكتيريا وعدم الشرب من الأودية أو الآبار الارتوازية أو العربية حتى لو كانت مغطاة وعدم السباحة في المياه الراكدة والأودية والمساح التي بها طحالب وشوائب ومحاربة البعوض الناقل للأمراض

ثانياً: التدابير الوقائية في نظافة الشوارع والبيوت

19- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «اتقوا اللعانين قالوا وما اللعانان يا رسول الله؟ قال: الذي يتخلى في طريق الناس أو في ظلهم»¹.

معالم الطب الوقائي في هذا الحديث:

دلّ هذا الحديث على أهمية نظافة المسكن، لأنه هو المأوى الذي تتحقق فيه الحاجات الجسدية ورعاية الأطفال وحفظ الممتلكات والحصول على الخصوصية والهدوء واستقبال الأصدقاء وإنجاز الوظائف الأساسية والشخصية للأسرة، ولذا حث الشارع على نظافة البيئة التي ستعكس حتماً على صحة الفرد والمجتمع، لأن إهمال نظافة البيئة يؤدي إلى تلوث المساكن والأفنية والهواء، وإن جرائيم الأمراض والأوبئة تنتقل بشكل رئيسي من خلال تلوث الهواء والماء اللذين يسببهما تلوث الشوارع والبيوت وغيرهما⁽²⁾، ولذلك والطريقة الأمثل في الوقاية من الأمراض التي يسببها تلوث البيئة هو إتباع إرشادات النبي في نظافة الشوارع والبيوت.

وقد بين الأطباء أضرار تلوث الهواء على صحة الإنسان وقالوا: إن تلوث البيئة من الهواء وغيره له أضرار كثيرة على صحة الإنسان، لأن الملوثات تدخل إلى جسم الإنسان والحيوان إما عن طريق الاستنشاق وهذا أخطر الوسائل وأكثرها فعالية، وإما من خلال المسام الجلدية بسبب اللمس أو بسبب تراكم الملوثات على الأغذية والمشروبات أو تعرض النباتات الغذائية لهذه الملوثات، لذلك تسبب هذه الملوثات في كثير من أمراض الجهاز التنفسي (Respiratory) والجهاز الهضمي (Digestive) والأمراض الجلدية (Dermatology) وأمراض العيون (Eye diseases)، ومن الأمراض التي يسببها تلوث الهواء يؤثر على الجهاز التنفسي - كما تقدم - محدثاً آلاماً في الصدر، كما يسبب التهاب القصبة الهوائية (Tracheal inflammation) وضيق التنفس (Dyspnea)، ويسبب أيضاً تشنج الأحبال الصوتية (Vocal cords)، وقد يؤدي إلى تشنج مفاجئ واحتناق، كما يؤدي إلى تصلب الرئوي (Pulmonary) وتهيج العيون (Eye irritation) وكذلك الجلد كما سبق⁽³⁾.

وذكروا أيضاً أن تلوث الهواء وغيره في البيئة يسبب الصداع والضعف العام، وقد يؤدي للغيوبة وإلى حدوث تشنجات (Cramps) والتي قد تؤدي للوفاة، كما يؤدي إلى إفراز حمض البوليك (Excretion of uric) وتراكمه في المفاصل والكلية (Kidney)، كما يقلل من تكوين الهيموجلوبين (Hemoglobin) في الجسم، كما أن الهواء الملوث يحل محل الكالسيوم (Calcium) في أنسجة العظام، ويسبب تلوث الهواء أيضاً التخلف العقلي لدى الأطفال، وكما أن تراكمه في الأجنة يؤدي إلى تشوه الجنين وإلى إجهاض الحوامل⁽⁴⁾، وقد جاء في تقرير منظمة الصحة العالمية: أن تلوث الهواء داخل الأماكن، المرتبط باستخدام وقود الكتلة الحيوية الذي لا يزال منتشرًا على نطاق واسع، يقتل قرابة مليون طفل سنوياً، ومعظم ذلك نتيجة العدوى التنفسية الحادة، والأمهات اللاتي يكلفن بالطبخ أو اللاتي ييقن قريبات من المواعد بعد الولادة يتعرضن معظمهن للإصابة بالأمراض التنفسية المزمنة⁽⁵⁾.

ثالثاً: التدابير الوقائية في إطفاء النار عند النوم

20- عن أبي موسى - رضي الله عنه - قال: احترق بيت بالمدينة على أهله من الليل فحدث بشأهم - قال: «إن هذه النار إنما هي عدو لكم فإذا

¹ أخرجه مسلم، المرجع السابق، باب النهي عن التخلي في الطرق والظلال، ج 1 ص 226 رقم الحديث: 269

⁽²⁾ السنناني، المرجع السابق، ص 283، بتصرف.

⁽³⁾ السنناني، المصدر نفسه، ص 285، بتصرف.

⁽⁴⁾ السنناني، المرجع السابق، ص 287، بتصرف وزيادة.

⁽⁵⁾ السنناني، المصدر نفسه، ص 289، بتصرف.

نتم فأطفئوها عنكم»¹.

21- عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون»².

22- عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- «خمروا الآتية، وأجفوا الأبواب، وأطفئوا المصابيح، فإن الفويسقة ربما جرت الفتيلة فأحرقت أهل البيت»³.

معالم الطب الوقائي في هذه الأحاديث:

تضمنت هذه الأحاديث الأوامر بإطفاء النار، والنواهي عن تركها موقدة، والأصل في الأمر أن يحمل على الوجوب إلا إذا ورد ما يصرفه إلى غيره من كتاب أو سنة أو إجماع، وبناء على هذه القاعدة فإنه يجب إطفاء النار والسرج عند النوم، ويحرم تركها ما لم يقيم دليل يعتمد عليه في صرف الوجوب أو التحريم، وقد نقل ابن حجر عن القرطبي ما يشعر بالوجوب، فقال: في هذه الأحاديث أن الواحد إذا بات بيت ليس فيه غيره وفيه نار فعليه أن يطفئها قبل نومه، أو يفعل بها ما يؤمن به الاحتراق، وكذا إن كان في البيت جماعة فإنه يتعين على بعضهم، وأحقهم بذلك آخرهم نومًا، فمن فرط في ذلك كان للسنة مخالفاً، ولأدائها تاركاً⁴.

والحكمة في إطفاء النار والسراج والمصابيح عند النوم ظاهرة جداً كما نص عليها صاحب الشرع، وهي الحفاظ على الأموال والأرواح من الاحتراق، ولا شك أن هذا يشمل النار المعهودة، والمصابيح التي تنار بأنواع الوقود، والأدوات الكهربائية، وغير ذلك مما يخشى منه الاحتراق، فيطفيئ المسلم ما يمكن إطفائه، ويؤمن ما يمكن تأمينه بوسائله المعهودة، وحينئذٍ تتحقق الحكمة التي قصد إليها صاحب الشرع من الحفاظ على الأنفس والأموال، وعدم التفريط في سلامتها⁵، وقد أثبتت الأبحاث العلمية الحديثة أن زيادة فترة التعرض للضوء - خاصة في الليل عند النوم - لها أضرار على صحة الإنسان، ومن هذه الأضرار:

أولاً: زيادة نوبات الصداع، والشعور بالإرهاق، والتعرض لدرجات مختلفة من التوتر، وزيادة الإحساس بالقلق. ومن المعروف أن الإضاءة المفرطة تعتبر عاملاً مباشراً ومهماً، خلف التعرض لنوبات الصداع النصفي الحاد. وفي إحدى الدراسات المسحية، احتل فرط الإضاءة المرتبة الثانية على قائمة الأسباب التي تؤدي لحدوث نوبات الصداع النصفي بين المصابين، بينما كان فرط الإضاءة هو السبب الرئيسي خلف الإصابة بنوبات الصداع النصفي بين 47% من بين جميع المصابين بهذا المرض، ولا تتوقف العلاقة بين الصداع وبين الإضاءة على درجة الشدة فقط، بل أيضاً على نوع الطيف الضوئي المستخدم، كما في حالات الاعتماد على الضوء الفلوريستنت (fluorescent light) بدلاً من ضوء الشمس، وهذا الاختلال الطيفي، بالإضافة إلى شدة الإضاءة، يعتبران معاً عاملين مهمين خلف زيادة الإحساس بالإرهاق، وخصوصاً بين من يقضون ساعات طويلة في العمل تحت مثل هذا النوع من الإضاءة. نفس هذه الظروف الضوئية، تؤدي أيضاً إلى زيادة واضحة في معدلات الشعور بالقلق والتوتر، حيث أثبتت الدراسات الطبية بالفعل، وجود ارتفاع في معدلات التوتر بجميع أعراضه وعلاماته الطبية، بين العاملين في أماكن أو القاطنين لمنازل، تستخدم فيها إضاءة مفرطة، وخصوصاً من نوع الفلوريستنت.

ثانياً: ارتفاع ضغط الدم:

يعتقد العلماء أن ارتفاع ضغط الدم في هذه الحالات، ينتج بشكل غير مباشر من زيادة مستوى التوتر الذي يتعرض له المعرضون لفرط الإضاءة. فالمعروف أن زيادة مستوى التوتر، تؤدي إلى إفراز الجسم لهرمون الأدرينالين (Adrenalin)، والمستول عن وضع الجسم في حالة من التأهب والاستعداد، من خلال تغيرات بيولوجية (Biological) وفسيولوجية (Physiological) عديدة، مثل رفع ضغط

¹ أخرجه البخاري، المرجع السابق، باب لا تترك النار في البيت عند النوم ج 5 ص 2319 رقم الحديث: 5936.

² أخرجه البخاري المصدر نفسه، ج 5 ص 2319 رقم الحديث: 5935.

³ أخرجه البخاري المصدر نفسه، ج 5 ص 2320 رقم الحديث: 5937.

⁴ ابن حجر، فتح الباري، المرجع السابق، ج 11 ص 86.

⁵ الفكي، المرجع السابق، ص 95 - 96 بتصرف.

الدم وزيادة ضربات القلب.

ثالثاً: تثبيط جهاز المناعة:

وجد بعض الباحثين أن الضوء يؤثر على جهاز المناعة (Immune system) من خلال تأثيره على العين ثم المخ ثم الغدة الصنوبرية (Pineal gland)، وكذلك من خلال نفاذية الضوء لسطح الجلد، حيث كلما زاد الطول الموجي زادت درجة النفاذية عبر النسيج البصري والنسيج الجلدي. كما وجد البعض الآخر أن الخلايا الليمفاوية (Lymphocytes) في الدم تنتج هرمون الميلاتونين (Melatonin hormone) الذي يقوم بتنشيط المناعة، وأن هذا الإنتاج يتأثر بالضوء، حيث يثبط الضوء الذي ينفذ من الجلد و يصل للخلايا الليمفاوية التي تسير في الدم قرب سطح الجلد قدرة هذه الخلايا على تكوين وإفراز الميلاتونين مما يؤدي إلى نقص المناعة بطريقة غير مباشرة، كما وجدوا أن تعرض الجلد لفترات من الظلام يقوى من مناعة الجسم.

رابعاً: التأثير الضار للضوء على الجلد

وجد بعض الباحثين أن للظلمة المنظورة من الضوء تأثيراً ضاراً على الجلد حيث يؤدي إلى احمرار الجلد وتبقعه والتدمير الحراري لخلايا الجلد، وكذلك إنتاج الشوارد الحرة. هذا بالإضافة إلى التدمير غير المباشر للحمض النووي في خلايا الجلد الناتج عن الأكسجين النشط، كما أثبت البعض الآخر أن للضوء تأثيراً غير مباشر على الجلد من خلال تأثير الضوء على إفراز الميلاتونين حيث يتأثر الجلد بهرمون الميلاتونين (Melatonin hormone) الذي يقوم بدور هام في وظيفة الجلد الحيوية مثل دورة نمو الشعر، ولون الجلد، وتثبيط سرطان الجلد، كما يعمل على تثبيط تأثير الأشعة فوق البنفسجية ((Ultraviolet (UV التي تدمر خلايا الجلد، وله دور قوي كمضاد للأكسدة، ومن هنا تتضح أهمية فترة الظلام وعدم التعرض للضوء للحفاظ على الجلد وعلى الحمض النووي لخلاياه (Nuclear cells) من التدمير بالشوارد الحرة، وبمساعدة الميلاتونين تبدأ عملية التنظيف من الشوارد الحرة والأكسجين النشط في خلايا الجلد الناتجة عن التعرض للظلمة المنظورة من الضوء، ليس هذا فحسب إنما في تقليل الضرر الناتج من الأشعة فوق البنفسجية على الجلد التي يتعرض الإنسان لها نهاراً في ضوء الشمس⁽¹⁾.

الخاتمة مع النتائج :

الحمد لله الذي أنعم عليّ بإتمام هذا البحث - الذي اشتمل على الأحاديث الواردة عن النبي - في الطب الوقائي -، والصلاة والسلام على محمد وعلى آله الطيبين المطهرين وأصحابه الغر الميامين أعلام الهدى ومصابيح الدجى وسلم تسليماً كثيراً.

وقد تطرقت في هذا البحث لمسائل مهمة جداً، التي تتعلق بالطب الوقائي على ضوء الحديث النبوي من خلال الصحيحين، وركزت فيه على جمع كل ما يتعلق بمادة البحث، حيث بدأت بتعريف الطب والوقائي لغةً واصطلاحاً، وعناية الإسلام بالطب الوقائي، ثم استخرجت الأحاديث المعنية من الصحيحين ورتبتها على الأبواب الطبية حسب دلالتها، ثم قمت بتحليل تلك الأحاديث بذكر مسائل مستنبطة من تلك الأحاديث في ضوء الطب الوقائي، حيث أعقب كل حديث بالمسائل الطبية الوقائية المناسبة له، مع تأييدها بأقوال الأطباء المعاصرين وما يمكن أن يلحق بذلك مما يشهد له الواقع أو أثبتته التجربة العلمية مع مراعاة عدم مخالفة الشريعة، وبعد ذلك توصلت إلى نتائج أجمل أهمها فيما يأتي:

1- إن النبي - صلى الله عليه وسلم - اهتم بكل جانب من جوانب الحياة البشرية منها الجانب الصحي، حيث ورد عنه الأحاديث التي فيها الإشارات الطبية الطفيفة، التي لو أخذ بها الناس لكان لها الأثر الكبير في الوقاية من كثير من الأمراض، والشفاء من أمراض أخرى.

⁽¹⁾ انظر: هشام عبد الرحمن، إظلام المصباح ليلاً إعجاز نبوي بقي من التلوث الضوئي، <http://e3jaz.way2allah.com/modules.php?name=News&file=article&sid=139>، 28 / 08 / 2010، بتصرف.

2- الراجح في تعريف الطب الوقائي هو علم يتعلق بمحافظته الفرد والمجتمع في أحسن حالاته الصحية، وذلك عن طريقين: الأول: وقايته من الأمراض قبل وقوعها، ومنع انتشار العدوى إذا وقعت، الثانية: صيانة صحته بتحسين ظروف معيشته ومنع الحوادث وأسباب التوتر العصبي.

3- يُعد الطب الوقائي من أهم دعائم الطب في الإسلام، لأن العناية بحماية الصحة والمحافظة عليها ووقايتها من الأمراض من المفاهيم الإسلامية الأصلية، لذا جاء الطب الوقائي في الإسلام متميزاً بقيمه الأخلاقية السامية ومبادئه الروحية العظيمة وعمراته لصحة الإنسان الجسدية والنفسية والعقلية والجنسية والروحية.

4- إن الخمر مفتاح لكل شرٍّ، وأنها تسبب الأمراض الخطيرة، منها النوبة القلبية والتشمع الكبدى والذي لا شفاء منه.

5- الوقاية أفضل من الإصابة بكتيريا هيليكوباكتر بيلوري (Helicobacter pylori) التي تسبب التهاب الأغشية المبطن للمعدة والذي يؤدي إلى هضم المعدة الذي يكون كفيلاً لقتل الإنسان المصاب به في بعض الأحيان- هو عدم النفخ أو التنفس في الطعام أو الشراب.

6- أن تناول الطعام والشراب في حالة الوقوف قد يؤدي إلى الإصابة بأمراض عديدة، منها: إحداث انعكاسات عصبية والتي تؤدي إلى انطلاق شرارة النهى العصبي الخطيرة (Vagal Inhibition) لتوجيه ضربتها القاضية للقلب، فيتوقف محدثا الإغماء أو الموت المفاجئ، كما أن الاستمرار على عادة الأكل والشرب واقفاً يكون خطيراً على سلامة جدران المعدة وإمكانية حدوث تقرحات فيها.

7- أثبت الطب الحديث أن الأمراض المعدية تسري في مواسم معينة من السنة، بل إن بعضها يظهر كل عدد معين من السنوات، وحسب نظام دقيق لا يعرف تعليقه حتى الآن، وهذا يفسر لنا الإعجاز العلمي في قول رسول الله - - «فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر بإناء ليس عليه غطاء أو سقاء ليس عليه وكاء إلا نزل فيه من ذلك الوباء».

8- ثبت في الطب الحديث أن الميكروبات لا تهاجم جلد الإنسان إلا إذا ضعفت مقاومة الجلد، وأن أهم سبب لضعف مقاومة جلد الإنسان هو إهمال النظافة، ومن هنا تأتي حكمة الإسلام في تشريع الغسل لرفع الجنابة ونظافة الجسم.

9- الماء الملوّث يسبب الأمراض الكثيرة والتي تؤدي إلى فقدان كونه، لأن الأحياء سيصابون بأمراض والتي لا أحد يعرف مدى تأثيرها على صحتهم إلا خالقهم، ولذا شدد الإسلام على تجنب تلويث الماء بإلقاء الزبالة أو النجاسة فيه، أو التبرز أو التبول فيه أو على شواطئه.

10- إن تلوث البيئة من الهواء وغيره له أضرار كثيرة على صحة الإنسان، لأن الملوثات تدخل إلى جسم الإنسان والحيوان من طريق الاستنشاق وهذا أخطر الوسائل وأكثرها فعالية، ومن طريق المسام الجلدية بسبب اللمس أو غيره، كما أن تلوث الهواء والماء والغذاء بالمواد الكيميائية، والإشعاعات والتي تسبب بدورها سموماً كثيرة تفتك بأنسجة الجسم وخلاياه والطريقة الأمثل في الوقاية من الأمراض التي يسببها تلوث البيئة هو اتباع إرشادات النبوة في نظافة الشوارع والبيوت.

11- إن زيادة فترة التعرض للضوء - خاصة في الليل عند النوم - لها أضرار على صحة الإنسان، ومن هذه الأضرار: زيادة نوبات الصداع وتثبيط جهاز المناعة وارتفاع ضغط الدم، وهذا يدل على حكمة أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بإطفاء النار والسراج والمصابيح عند النوم.

المصادر والمراجع:

- 1 - أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي
- 2 - أبو داود، سنن أبو داود، بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر
- 3 - أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، الطبعة الثانية، بيروت، دار إحياء التراث العربي (1392 هـ)

- 4 - أبو محمد الحسين بن مسعود محي السنة البغوي، معالم التزليل، بتحقيق محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميمية وسليمان الحرش، الطبعة الرابعة، دار طيبة للنشر والتوزيع، (1417 هـ - 1997 م)
- 5 - أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، بتحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، (1420 هـ - 1999 م)،
- 6 - أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، مقاييس اللغة، بتحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية، اتحاد الكتاب العرب (1423 هـ - 2002 م)
- 8 - أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة - بيروت، (1379 هـ)
- 9 - حسن ياسين، الإعجاز الطبي في الكتاب والسنة، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة وهبة (1417 هـ - 1997 م)
- 10 - حسن بن أحمد بن حسن الفكي، أحكام الأدوية في الشريعة الإسلامية، الطبعة الأولى، الرياض المملكة العربية السعودية، دار المنهاج للنشر والتوزيع، (1425 هـ)
- 11 - حسين عبد الله العلي، خصال الفطرة في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة مع الطب الحديث، الطبعة الأولى، دار الضياء للنشر والتوزيع، (1425 هـ - 2004 م)
- 12 - صالح عبد القوي السنباني، الإعجاز العلمي في الطب الوقائي، الطباعة والصف والإخراج إدريس عبد القوي، طبعة تجريبية الجمهورية اليمنية، جامعة الإيمان، (1425 هـ - 2004 م)
- 13 - عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، بتحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، (1420 هـ - 2000 م)،
- 14 - عبد الرزاق الكيلاني، الحقائق الطبية في الإسلام، الطبعة الأولى، دار القلم - دمشق، والدار الشامية - بيروت، (1417 هـ - 1996 م)
- 15 - محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري الجعفي مولاه، صحيح البخاري، بتحقيق د. مصطفى ديب البغا، الطبعة الثالثة، بيروت، دار ابن كثير اليمامة، (1407 هـ - 1987 م)
- 16 - محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتاب العربي، لبنان، (1410 هـ - 1990 م)
- 18 - محمود الحاج قاسم محمد، الطب الوقائي النبوي، الطبعة الثانية، دمشق - سوريا، دار النفاس للطباعة والنشر والتوزيع، (1422 هـ - 2001 م)
- 19 - محمد عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، بتحقيق د. محمد رضوان الداية، الطبعة الأولى، بيروت، دار الفكر، (1410 هـ)
- 20 - محمد بن يزيد أبو عبد الله ابن ماجه القزويني، سنن ابن ماجه، بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت دار الفكر،
- 21 - محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي مختار الصحاح، بتحقيق محمود خاطر، طبعة جديدة، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون (1415 هـ، 1995 م)
- 22 - مسلم بن الحجاج بن مسلم أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي